كتاب (عائلة مصطفى المحجوب): قراءة وصفية تحليلية

أولًا: الإطار العام والمنهجية

1- بيانات الكتاب والمؤسسة الناشرة:

الكتاب بعنوان: "عائلة مصطفى المحجوب شيخ زاوية الطَّيْلَمُونَ السَّنوسية: تاريخ ووثائق".

المؤلف هو الأستاذ الدكتور أحمد محمد جاد الله، الأستاذ بكلية الآداب، جامعة عمر المختار، ورئيس مركز إيقاظ للدراسات السنوسية وإحياء التراث. صدرت الطبعة الأولى عام 1446هـ/2024م.

تُعدّ المؤسسات الناشرة –جمعية الإمام محمد بن علي السنوسي للثقافة والتراث بالجغبوب، ومركز إيقاظ للدراسات السنوسية بالبيضاء– جهات متخصصة في إحياء التراث السنوسي، ما يضفي على الكتاب طابع "التوثيق المؤسسي".

2- مشكلة البحث وأصوله المنهجية:

يشير المؤلف في مقدمته إلى أن هذا العمل نبت من ورقة بحثية سابقة، وهدفه هو الكتابة عن عائلة مصطفى المحجوب باعتبارها "نموذجا لعائلات مشيخة الزاوية السنوسية".

تُسلّط المقدمة الضوء على الصعوبة المنهجية في التأريخ لرجالات السنوسية بسبب "غياب الكثير من الوثائق الدالة" و"الطمس المتعمد لمآثر علمائها". وتَبرز القيمة الجوهرية للكتاب في اعتماده على مادة أرشيفية نادرة، حيث يذكر المؤلف اعتماده على حوالي (140) وثيقة، تمكن من الحصول عليها بعدما نجت من

"الخطوب والحروب التي أودت بكثير من وثائق ومخطوطات الزوايا السنوسية". وقد كان مصدر هذه الوثائق هي "مجموعة الشيخ منصور المحجوب".

ويُشيد المقدّم للكتاب، أ.د. أحمد مراجع نجم، بـ "الجهد التاريخي الدؤوب" الذي قام به المؤلف في "عمليات التحليل، والتبويب، واستنطاق مضامين الوثائق، ومقارنتها مع ما جاء في غيرها من البحوث والدراسات".

ثانيًا: هيكل الكتاب وعناصره التحليلية

وفقًا لبيان المؤلف في المقدمة، ينقسم الكتاب إلى أجزاء رئيسة تتبع التسلسل الزمني والموضوعي:

القسم الأول (المباحث):

ذكر المؤلف تقسيم البحث إلى مبحثين رئيسين يليهما تتمة وملاحق:

المبحث الأول: الشيخ مصطفى المحجوب: سيرته وأدواره وآثاره.

تناول المطلب الأول منه سيرة الشيخ مصطفى بن عبد الوهَّاب المنتمي إلى عائلة المحجوب المعروفة في مصراتة، ويتصل نسبه بالشيخ إبراهيم المحجوب، ويُرجح أن ولادته كانت في قرية المحجوب بمصراتة في العقد الثالث من القرن التاسع عشر (1820–1830م). بدأ الشيخ مصطفى نشأته العلمية في زاوية جدِّه بالقرية، حيث تلقى مبادئ العلوم وحفظ القرآن على يد الشيخين اسويسي بن أبي مدين وابنه منصور.

كانت نقطة التحول الكبرى في حياته عندما صحب الأستاذ الأكبر محمد بن علي السنوسي (مؤسس الطريقة السنوسية) أثناء مروره بزاويتهم عام 1257هـ/1841م، وهاجر معه إلى برقة (الجبل الأخضر). لازم المحجوب شيخه السنوسي الكبير، وتلقى عنه علوم اللغة والفقه والحديث والتفسير، ونال منه الإجازة التامة المطلقة العامة، في الزاوية البيضاء بتاريخ 1 رجب 1258هـ/1842م، ما يضعه في مصافٍّ خواصِّ الإخوان

المؤسسين. وقد وصفه شيخه الأكبر لاحقًا بقوله: "ولدنا مصطفى ربَّيناه، وصفَّيناه، حتَّى تركناه كالذهب الصافي".

بعد مُنح الإجازة، اضطلع الشيخ مصطفى المحجوب بأدوار محوريَّة في "الدعوة ودلالة الخلق على الله" فقد شارك في مراحل البناء الأولى، حيث كان من أوائل الإخوان الذين ساهموا في تشييد الزاوية البيضاء (أُم الزوايا)، ثم شارك في بناء زاوية وادي قطمير في جالو، وصولًا إلى كونه أحد أعضاء البعثة التي أرسلها الأستاذ الأكبر لتأسيس زاوية الجغبوب الكبرى، التي أصبحت عاصمة الطريقة. وبحلول عام 1273هـ/1856م، أوكل إليه السنوسي الكبير مهمة تأسيس زاوية الطيلمون (جنوب غرب سلوق) حيث انتقل إليها وأصبح شيخها المقيم، لتغدو الزاوية مركزًا تعليميًا واجتماعيًا وحصنًا للأمن، كما كانت نموذجًا للكيانات المستقرة في محيط البادية.

استمر المحجوب في علاقته الوثيقة بالقيادة المركزية للطريقة في الجغبوب، ثم قام بزيارة السيد المهدي في زاوية التاج عام 1899م، ورافقه في رحلته الشاقة إلى زاوية قُرو في السودان الغربي (تشاد) عام 1900م، قبل أن يعود إلى زاوية الطيلمون عام 1901م. وفي عام 1323هـ/1906م، قام برحلته إلى الحجاز لأداء فريضة الحج والزيارة، في دلالة على استمرار حيويته رغم تقدمه في السن.

بقي الشيخ مصطفى المحجوب شيخًا لزاوية الطيلمون مدة تزيد عن نصف قرن، إلى أن وافته المنيّة في 25 ربيع الأوَّل 1328هـ الموافق 5 أبريل 1910م. دُفن في زاويته إلى جوار زميله العلامة أحمد بن أبي القاسم التواتي، وقد أثنى عليه السيِّد أحمد الشريف السنوسي بوصفه "الوليُّ الكامل الهُمام، صاحب الهمَّة والاهتمام، العالم الجليل، الشريف الأصيل".

بينما تناول المطلب الثاني أدوار الشيخ مصطفى المحجوب في زاوية الطيلمون، مُستندًا إلى المراسلات المباشرة من السنوسي الكبير، ومن السيد المهدي السنوسي وغيره، ما يُبرز أن الزاوية كانت كيانًا متكاملًا متعدد الوظائف:

- **الدور الدعوي والتعليمي:** تمثل هذا الدور في وعظ الناس ودلالتهم على ربهم، وتشير الوثائق إلى أن مهمة تعليم الصبيان وتحفيظهم القرآن لم تكن مسؤولية الشيخ مباشرة، بل كانت مُسندة إلى الفقيه، بينما تولى الشيخ الإشراف والمتابعة، وكانت الوصايا المكتوبة من السيد المهدي تشدد على "الدلالة على الله تعالى، وتعليم أولاد المسلمين."
- **الدور الاجتماعي (القضائي):** اضطلع الشيخ مصطفى بدور رئيس في الفصل في الخصومات وفض النزاعات بين المكونات الاجتماعية. وتؤكد الوثائق تدخله الناجح بناءً على تكليف من السيد المهدي، لحل نزاعات مستحكمة بين قبيلتي العواقير والمنفه (في خلاف بير الجبني)، وأيضًا النزاع بين عائلة العبّار والقطارنة. كما كان له دور في تهدئة القبائل المتمرّدة على السلطة العثمانية لتفادي الذرائع الأجنبية، ما يمنحه وظيفة قضائية واستقرارية بالغة الأهمية.
- **الدور الاقتصادي:** أظهرت وثائق المحجوب أن زاوية الطيلمون "صُرَّة الزوايا" الواقعة فيما سُمي "صابة برقة" لخصوبة أرضها، كانت ذات أهمية اقتصادية فائقة. وقد كان الشيخ مسؤولًا عن إدارة الزراعة والموارد (الغلَّة)، وتوفير احتياجات المركز الرئيس في الجغبوب، حتى إن الأستاذ الأكبر أوصاه بالاجتهاد في "حصاد الزرع والدِّراس، والتحفُّظ عليه من التشتيت بأيدي الناس."، وفي إحدى الوثائق يقول له السيد المهدي: "ونحن أكثر اتكالنا عليكم، والاتكال على الله".
- **الدور الإداري:** تميز الشيخ مصطفى المحجوب بـ"الدور الإداري الفريد" حيث كان المهدي السنوسي يعتمد عليه في تسليم المشايخ الجدد زواياهم، كاصطحابه للشيخ

محمد العيساوي إلى زاوية بنغازي، والتوجّه مع أنجال سيدي علي بن عبد المولى إلى زاوية توكرة. هذا التكليف يبرهن على أنه كان بمنزلة وكيل تنفيذي للقيادة المركزية.

- **الدور الإعلامي (البريدي):** كانت زاوية الطيلمون حلقة مهمة في شبكة الاتصالات السنوسية، التي كانت توفر خدمة بريدية منتظمة تربط المجتمعات النائية بالعالم الخارجي. الوثائق تؤكد متابعة الشيخ مصطفى لأخبار الأستانة وأوروبا (كما في رسالة الشيخ عبد الرحيم المحبوب من الأستانة)، وتكليفه بإبلاغ السيد المهدي بما يستجد من أخبار (كالخبر عن ستين هجينًا من الإنقليز تريد الكُفرة)، ما يوضح الوظيفة "الإخبارية" للزاوية.
- **الدور الجهادي:** على الرغم من وفاته قبل الغزو الإيطالي، شارك الشيخ مصطفى في إعداد العدة، حيث كان يشتري الأسلحة، ويرسل إلى الجغبوب "نوعًا خاصًا من التراب" يُستخدم في صناعة البارود. كما شارك في دعم الجهاد ضد العدوان الفرنسي في بلاد ما وراء الصحراء، بإرسال الغلَّة وغيرها من الاحتياجات إلى الإخوان في قُرُو بتشاد، ومتابعة أخبار المعارك هناك؛ مثل معركة كانُم.

وتؤكد هذه السيرة والأدوار على أن الشيخ مصطفى المحجوب كان ركيزة مؤسسية وروحية في ظل الطريقة السنوسية في برقة.

أما المبحث الثاني فخصص لأبناء الشيخ وحفدته

تحدث المطلب الأوَّل منه عن الشيخ محمَّد عليٍّ بن مصطفى المحجوب الذي وُلِد حوالي عام 1275هـ/1858م في زاوية الطيلمون وتلقى تعليمه الأولي فيها، لكن مرحلة التكوين الأعمق كانت في زاوية الجغبوب الكبرى، حيث أقام فيها ما يزيد عن عشرين عامًا. خلال هذه الفترة، أتم حفظ القرآن الكريم واستظهر المتون الأساسية مثل متن ابن عاشر في الفقه والآجرُّوميَّة في النحو، ملتحقًا بحلقات نخبة من علماء

الإخوان السنوسيين، منهم العلامة عمران بن بركة الفيتوري والعلامة أحمد الريفي.

وعبر وثائق المراسلات، يُلاحظ كيف كان السادة السنوسيون (كالسيد محمد الشريف) يؤجلون إعطاءه الإجازة في إعطاء الأوراد إلى ما بعد وفاة والده، إمعانًا في تمام الأدب معه، بينما أُذن له في قراءة الدروس والتدريس في زاوية الطيلمون.

بعد تخرجه، عاد محمَّد عليٍّ إلى الطيلمون في منتصف عام 1309هـ ليساعد والده المسن، وخلفه رسميًا شيخًا للزاوية بعد وفاته في عام 1910م. قام بأدوار متعددة أبرزها التعليم وقراءة دروس العلم في الزاوية، كما اضطلع بالدور الاقتصادي الحيوي، إذ كان مسؤولًا عن تسيير القوافل المحملة بالموارد (الغلة والجلب) من الطيلمون إلى المركز السنوسي في الجغبوب، ولاحقًا إلى التاج في الكُفرة، ثم إلى قُرُو في تشاد بعد انتقال السيد المهدي.

ومع انطلاق حركة الجهاد ضد الغزو الإيطالي عام 1911م، برز دوره الجهادي، حيث قاد طابور قبيلة مطاوع العواقير، وكان أحد الشيوخ القادة الذين وقعوا على الرسالة التي أكدت للجنرال الإيطالي رفض التفاوض إلا بعد العودة إلى السيد أحمد الشريف السنوسي. علاوة على ذلك، عُيّن الشيخ محمَّد عليٍّ لاحقًا عضوًا في المجلس الخاص بسمو الأمير إدريس السنوسي عندما تأسست حكومة أجدابية عام 1917م، كما كان أحد أبرز العلماء الذين جلسوا للتدريس في مسجد أجدابية الكبير.

نتيجة لاشتداد الصراع ضد الغزو الإيطالي، كان الشيخ محمَّد عليٍّ المحجوب من بين الشيوخ والأعيان الذين هاجروا إلى مصر في منتصف العشرينات من القرن العشرين، في أعقاب هجرة الأمير إدريس. استقر في قصر أبي محجوبة غربي مرسى مطروح، حيث استمر في القيام بدور اجتماعي بارز، إذ كان يُلجأ إليه لفض النزاعات وحل الخصومات، حتى من قبل الحاكم الإنجليزي. ظل الشيخ محمَّد

عليٍّ على اتصال وثيق بالأمير إدريس في مهجره، وتوفي ودُفن هناك في عام 1940م، أي قبل تأسيس جيش التحرير السنوسي. وقد عقَّب ثلاث بنات، منهن من ارتبطت بأبناء عمهن، ما ساهم في تعزيز الروابط العائلية المؤسسية للزاوية.

وتحدث المطلب الثاني عن الشيخ محمَّد السنوسيِّ بن مصطفى (احميده المحجوب) الذي يمثِّل الامتداد الثالث لقيادة زاوية الطيلمون. وُلِد في العقد الأول من القرن الرابع عشر الهجري (بداية القرن العشرين) في الزاوية، وتلقى علومه فيها. بعد وفاة أخيه محمَّد علي، خلفه في مشيخة الزاوية. إلا أن الدور الأبرز للشيخ احميده كان في الانتقال من الوظيفة الدعوية إلى الوظيفة السياسية والدستورية؛ فقد رافق الأمير إدريس السنوسي في وفده الرسمي إلى إيطاليا عام 1920م، وعُيِّن مستشارًا لـ"نظارة التشكيلات الجديدة" في حكومة أجدابية عام 1922م. وبعد الهجرة إلى مصر، شارك بفاعلية في النشاط الوطني والمدني، وكان عضوًا مؤسسًا في "الجمعية الليبية الخيرية" وعمل على دعم جيش التحرير.

وبعد العودة، كان احميده المحجوب أحد الأعضاء المؤسسين للمؤتمر الوطني البرقاوي (1948م)، واختير عضوًا في مجلس نواب برقة (1950م). كما شارك في الجمعية الوطنية التأسيسية (جمعية الستين) التي وضعت دستور الاستقلال، وعُيّن عضوًا في مجلس الشيوخ (1952م) في المملكة الليبية المتحدة. توفي الشيخ احميده في البيضاء عام 1956م، تاركًا إرثًا سياسيًا يشهد على اندماج العائلة في صلب الدولة الحديثة.

وخصص المطلب الأخير للحديث عن الحفيد الشيخ منصور المحجوب (وُلد في أجدابية 1918م، وتوفي في مكة 2001م) باني النهضة التعليمية والقضائية، الذي يمثل شخصية مركزية في بناء المؤسسات التعليمية والقضائية في ليبيا الملكية، وقد

اضطر للعيش في المنفى الإجباري بعد انقلاب 1969م. ويمكن إجمال هذا المطلب في النقاط الآتية:

1- النشأة والتكوين والأدوار الوطنية:

- **التحصيل العلمي:** هاجرت أسرته إلى مصر فالتحق بالأزهر الشريف، وحصل على شهادة "العالمية للبعوث الإسلامية" عام 1951م، وكان على صلة وثيقة بالأمير إدريس السنوسي في المهجر.
- **العمل القضائي:** بعد عودته، عُيّن في المحكمة العليا بطرابلس، وتولى منصب رئيس المحكمة العليا لعدة دورات (أولها 1956–1958م). اشتهر بالحزم والشجاعة، ومن أمثلة ذلك: نصحه للملك إدريس بالتراجع عن قرار وضع أملاك صالح بويصير تحت الحراسة.
- **العمل المدني:** كان عضوًا مؤسسًا في جمعية الهلال الأحمر الليبي عام 1957م.

2- الإنجاز الأبرز: تأسيس الجامعة الإسلامية

يُعدّ الشيخ منصور "باني النهضة الدينية الحديثة في ليبيا"، حيث قفز بالتعليم الديني قفزة نوعية:

- **مشيخة المعهد:** عُيّن شيخًا لمعهد السيد محمد بن علي السنوسي الديني بالبيضاء (أولًا عام 1954م، ثم مرة أخرى 1958م) بهدف تطويره.
- **تأسيس الجامعة:** كان صاحب المقترح والمُنفّذ لجامعة السيد محمد بن علي السنوسي الإسلامية، التي أُنشئت بقانون في أكتوبر 1961م.
- **الشيخ الأكبر:** تولى منصب أول شيخ للجامعة، ووظف قدراته الإدارية وعبقريته في تطويرها، محوّلًا إياها من قسم عالٍ إلى ثلاث كليات، ومستقدمًا كبار العلماء والمفكرين من العالم الإسلامي، وحاز على لقب "الشيخ الأكبر".

- **عوامل النجاح:** تميز بقوة الشخصية، والإخلاص في العمل، وحرصه على الطلبة، وصرامته الإدارية، وتوظيف علاقته الوثيقة بالملك لدعم المشروع التعليمي.
- **إحياء زاوية الطيلمون:** عمل على إحياء زاوية أجداده في الطيلمون، فأنشأ فيها مدرسة قرآنية ومسجدًا كبيرًا وقدم القروض لسكانها.

3- الدور العالمي والوفاة في المنفى:

- **الدور العالمي:** أهلته مكانته العلمية ليكون عضوًا مؤسسًا في منظمتين عالميتين: رابطة العالم الإسلامي في مكة (1962م). والمَجْمع الفقهي الإسلامي في مكة (1965م).
- **المنفى والوفاة:** كان في رحلة علاج بسويسرا عند وقوع انقلاب 1969م، واستضافه الملك فيصل في المملكة العربية السعودية. حوكم غيابيًا في ليبيا، وقضى بقية حياته في مكة المكرمة يعمل بالرابطة ويدرّس في جامعة الملك عبد العزيز. توفي الشيخ منصور في 5 سبتمبر 2001م، وصُلي عليه في الحرم المكي ودُفن في مقبرة المعلاة.

أما التتمة فتوضح الدور التكميلي الذي قام به أبناء عبدالحفيظ المحجوب، ابن عم الشيخ مصطفى، الذين كان لهم دور أساسي في تسيير الشؤون الإدارية واللوجستية لزاوية الطيلمون، حاملين لقب "وكيل الزاوية".

1- عبد الله بن عبد الحفيظ المحجوب (الوكيل الأول):

كان وكيلًا لزاوية الطيلمون ونائبًا للشيخ مصطفى المحجوب في تسيير شؤونها، وقد أُرسل من قِبل السيد محمد المهدي عام 1867م لمعاونة الشيخ مصطفى، كان حلقة وصل حيوية، حيث كُلّف بالتنقّل بين الجغبوب والطيلمون لإيصال الأمانات واللوازم الضرورية، توفي في زاوية الطيلمون عام 1893م.

خلف ولدًا هو عُمر بن عبد الله المحجوب، الذي تولَّى وكالة الزاوية في عهد الشيخ محمد علي، ورافق السيد صفي الدين السنوسي إلى البيضاء عام 1914م، واستمر نسله عبر عبدالله (إمام مسجد هدية ببنغازي، ت: 1981م) وعبدالحميد (ت: 1996م).

2- عبد الوهَّاب بن عبد الحفيظ المحجوب (الوكيل المعين بقرار):

خلف أخاه عبدالله في مهمة وكالة زاوية الطيلمون، وكان محل ثناء عظيم من السيد محمد الشريف السنوسي الذي وصفه بأنه "يفوقه" في التنبه وحفظ الأمانات و"عولة الهم"، مشيرًا إلى أنه "لا غناء لكم عنه في هذا الوقت". قام بمهامه على أكمل وجه، وتولى مسؤولية الزاوية نيابة عن ابن عمه الشيخ محمد علي، عندما انتقل الأخير بأسرته إلى الجغبوب بأمر من الأستاذ الأعظم (حوالي 1899م). بقي على قيد الحياة حتى عام 1908م، وذُكر لاحقًا في خطاب تعزية من الأمير إدريس (يُرجح أنه عام 1921م). خلف ولدين هما السنوسي والشريف.

يُبرز هذا القسم مدى الاعتماد المتبادل داخل عائلة المحجوب لضمان استمرارية العمل في زاوية الطيلمون، وتوثيق الارتباطات اللوجستية والإدارية بينها وبين المركز السنوسي في الجغبوب.

القسم الثاني: الملاحق الوثائقية والصور

تُعد الملاحق النواة المصدرية للكتاب. ويؤكد المؤلف أنه أدرج فيها "جميع الوثائق والصور". وقد شملت الملاحق، وفقًا للوثائق المُتاحة، رسائل "الإخوانيات" والمراسلات الخاصة:

- **الوثائق السنوسية الرسمية:** تضمنت الملاحق مراسلات موجهة من قيادة الطريقة في الجغبوب، ومن باقي الزوايا كزاوية بنغازي، والمرج، ومصراتة، إلى الشيخ مصطفى المحجوب في الطيلمون.

- **المدى الزمني للوثائق:** تُظهر الوثائق المُدرجة في الملاحق أنها تغطي فترة زمنية طويلة وحاسمة في تاريخ الطريقة، تبدأ من عام 1274هـ، وتصل حتى عام 1326هـ. وتُنسب هذه المراسلات إلى السيد محمد بن علي السنوسي الأستاذ الأكبر، والسيد محمد المهدي، والسيد محمَّد الشريف، وعدد من كبار إخوان الجغبوب، ومشايخ الزوايا، ما يدل على أن الشيخ المحجوب كان يتلقى توجيهاته من أعلى مرجعيات الطريقة عبر العقود.
- **أنماط المراسلات:** تدور هذه المراسلات حول قضايا إدارية وتنظيمية ودعوية، مثل إرسال الحوائج، وتفقد الأحوال في الجغبوب، والدعاء له والتوصية بزيارة الزوايا.
- **الصور:** تضمنت الملاحق صورًا شخصية وتاريخية نادرة.

ثالثًا: القيمة العلمية والمكانة التأريخية للكتاب

تبرز القيمة العلمية للكتاب من خلال النقاط الآتية:

1- **الموثوقية المصدرية:** إن الاعتماد على مجموعة وثائقية خاصة ومحفوظة بعناية، نجت من عمليات "التغييب المدروس" و"هدم المقرات الروحية"، يجعله مصدرًا أوليًا لا غنى عنه في تاريخ السنوسية.

2- **التأريخ للجهاد والتعليم:** يُساهم الكتاب في إبراز دور زاوية الطيلمون، التي وُصفت بأنها إحدى الزوايا الشهيرة في "التعليم والجهاد"، ما يُعزز فهمنا لمدى اندماج المؤسسة الدينية في العمل الوطني.

3- **دراسة العلاقة بين المركز والأطراف:** يُقدم الكتاب نموذجًا تطبيقيًا لـ "التنظيم المحكم للتواصل" بين زاوية المحجوب والطريقة السنوسية، ويكشف عن شبكة العلاقات التي كانت تُدير بها الطريقة شؤون برقة، من خلال شيخ الزاوية الذي كان بمنزلة "حلقة الوصل الموثوقة".

وأخيرا: يمثل هذا العمل دراسة حالة متكاملة، تتجاوز السرد البيوغرافي لتنخرط في التحليل الوثائقي والبنيوي. يُوصى بهذا الكتاب باعتباره "مرجعا أساسيا" في تاريخ المؤسسات الليبية الحديثة، ونموذجًا يُحتذى به في إحياء التراث السنوسي بالاعتماد على الأرشيف الخاص. حيث يوثق مسيرة العائلة عبر ثلاثة أجيال، كانت شريكًا مؤسِّسًا في بناء السلطة القضائية والتعليمية والأكاديمية، ليكون الكتاب بذلك بمنزلة استعادة للتاريخ المغمور لأبرز بُناة الدولة الليبية الحديثة الذين جرى تهميشهم بعد انقلاب عام 1969م.

د. طارق عبد الحميد الجياش